

فأجابه ابن المعتز : لم يقل أبو نواس ترك المعاصي إزراءً بعفو الله تعالى ، وإنما حكى ذلك عن متكلم غيره ، والبيت الذي أنشد له بحضرتنا :

لا تحظر العفو إن كنت امرءاً حرجاً فإن حطركم بالدين إزراءً

وهذا بيت يجوز للناس جميعاً استحسانه والتمثل به ، ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز في ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يفو بصبوة ، ولم يرخص في هفوة ، ولم ينطق بكذبة ، ولم يغرق في ذم ، ولم يتجاوز في مدح ، ولم يزور الباطل ويكسبه معارض الحق ؛ ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وعدي بن زيد العبادي ؛ إذ كانا أكثر تذكيراً وتحذيراً ومواعظ في أشعارهما من امرئ القيس والنابغة . فقد قال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سِيءِ الظَّنِّ وَالْبَالِ
يَفْطُ غَطِيطَ الْبُكَرِ شَدُّ خَنَاقَهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَاتِلِ

وقال النابغة :

وَإِذَا لَمَسْتُ لَمَسْتُ أَخْتَمَ رَابِياً مُتَحَيِّزاً بِمَكَانِهِ مَلَأَ الْيَدِ
وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفِ رَابِيِ الْمِجْسَةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدِ

وهل يتناشد الناس أشعار امرئ القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس على تعيهرهم ومهاجاة جرير والفرزدق إلا على ملأ الناس و (في) حلق المساجد ؟ وهل يروي ذلك إلا العلماء الموثوق بصدقهم . وقد نفى حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فما بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم انكر ذلك عليه في هجائه حيث يقول :

وَأَنْتَ رَبِيطٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطُ خَلْفِ الرَّأكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ

وقد زعم بعض الرواة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث : أنت من خير أهلي . وما نهى النبي صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن انشاد شعر عاهر ولا فاجر .

ولقد أنشد سعيد بن المسيب وغيره من نظرائه تهاجي جرير وعمر بن لجا فجعل يقول : أكله . يعني أكله جرير ولم ينكر شيئاً مما سمعه .

فأجابه ابن الأنباري : قد صدق سيدنا - أيده الله - في كل ما قاله من الأشعار التي عدل